المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد 10 / العدد: 01 (2023)، ص 104 – ص 122

قراءة في مفهوم الخطاب الحجاجي ومقارباته

A reading of the concept of argumentative discourse and its approaches

نعيمة بغداد باي• [1] **محمد برقان** [2]

[1] جامعة وهران2 محمد بن أحمد (الجزائر) nabaghdadbey@gmail.com

[2] جامعة وهران1 أحمد بن بلة (الجزائر) berganem03@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/30 تاريخ القبول: 2023/02/18 تاريخ النشر: 2023/03/31

DOI: 10.53284/2120-010-001-006

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم المقاربات العلمية التي تناولت الحجاج بالدراسة والبحث مثل المقاربات البلاغية ، المنطقية واللسانية، من خلال تقديم قراءة في تصورات ورؤى أبرز منظريها أمثال أرسطو ، بريلمان Ch.Perelman ، تولمين S.TOULIMIN، ديكرو وأنسكومبر: O.DUCROT et J-C ANSCOMBRE وغيرهم من المفكرين الذين قدموا إسهامات عميقة في مجال الحجاج Argumentation، وهذا بعد عرض مفهوم الحجاج وخصائصه، هذا المفهوم الذي مرت فيه الدراسات بين مد وجزر تبعا لخصوصية المرحلة التي احتضنت هذا المفهوم وطبيعة العصر وظروفه التي عايشها هؤلاء المفكرون.

الكلمات المفتاحية : حجاج ، اقناع ، مقاربات ، الاتصال الحجاجي ، خصائص الحجاج.

Abstract:

This study focuses on defining the most important scientific approaches of argumentation (study and research) like rhetorical, logical and linguistic approaches, by presenting perception of the famous theorists as Aristotle, Ch.Perelman, Toulimin, O.Ducrot ant Anscombre and others that presented important researches in argumentation domains , but first I will present concept of argumentation and its characteristiques .this concept has known differences studies because of the particular period and circanstances that this theorists have lived known.

Key words: *argumentation – persuasion – approaches – argumentative communication – the characteristiques of argumentation.*

• المؤلف المرسل

1- مقـــــدمة:

نظرا لكون الحجاج Argumentation موجودا في الخطاب السياسي، حينما يحاول المرسل استعمال مختلف الأساليب للفت انتباه سامعيه ، في الخطاب الإشهاري التجاري عندما يحاول رجل الإشهار استمالة الزبائن إلى منتوج معين ، وفي مرافعة المحامي الذي يحاول التأثير على القضاة، وفي حرارة النقاش في الرسائل الجامعية وحتى في الجدال العادي بين الناس، فكل مدعو إلى الحجاج في الحياة اليومية، فالخطاب الحجاجي اذا موجه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطب .

وتظهر أهمية الحجاج في كونه نموذجا لفهم التفاعل اليومي بين الأفراد، والمتمثل في محاولة البعض إقناع البعض الآخر بصحة قول ما أو فعل بعينه، ومحاولة تقييم مدى صحة الاعتقاد في أدلة ودعاوى الآخرين ، أي أن الحجاج – من هذا المنطلق – إحدى الوسائل الهامة لحل الخلاف بين وجهتي نظر مختلفتين حول موضوع ما بهدف التوصل إلى حلول لم تكن لتظهر لولا انخراط الأطراف في عملية الحجاج هذه فضلا على أنها – بما تحويه من تدريب على المنطق والاستدلال – تزيد الروح النقدية بين الناس، وبالتالي تقلل من احتمال أن تضللهم الاستدلالات الزائفة التي يتعرضون لها بلا انقطاع في أنحاء شتى من العالم.

إشكالية الدراسة :

انطلاقا من افتراض ان الحجاج أخذ ابعادا مختلفة تبعا لإختلاف المدارس الفكرية وتنوع الحقول المعرفية للباحثين الذين اهتموا بهذا المجال الخصب من العلم فقد اختلفت نظراتهم للمفهوم وتعددت أطروحاتهم المنهجية اتجاه مفهوم الحجاج تبعا للزوايا البحثية التي شكلت نقطة انطلاق ابحاثهم .

من خلال ذلك كله تروم هذه الدراسة البحث في هذا الإشكالية باعتماد مقاربة نظرية لاهم طروحات المشتغلين بمجال الحجاج وأهم الأفكار المستخلصة من أبحاثهم حول المفهوم ، فماهي – اذن – أهم المقاربات التي تناولت مفهوم الحجاج ؟ وما الذي يميز طروحات المنظرين انطلاقا من تنوع فروعهم المعرفية ؟

لذلك اعتمدنا على تقديم قراءة لمختلف المقاربات العلمية التي تناولت الحجاج بالدراسة والبحث مثل المقاربات البلاغية ، المنطقية واللسانية، وهذا بعد عرض مفهوم الحجاج ،خصائصه ومجالاته.

أهداف الدراسة :

- ابراز أهمية الخطاب الحجاجي لمختلف الحقول المعرفية
- تبيان تنوع مقاربات مفهوم الحجاج : منطقية وبلاغية ولسانية وغيرها ...
- تقديم قراءة نظرية لمفهوم الحجاج وتعدد مداخلها انطلاقا من الأطر المرجعية لكبار المنظرين والباحثين.

منهج الدراسة :

ان طبيعة ورقتنا البحثية اقتضت منا التوسل بمقاربة نظرية لمفهوم الحجاج واستعراض اهم خصائصه وابرز مقارباته وبخاصة المنطقية والبلاغية الى جانب المقاربة اللسانية وهذا نظرا لكونها تندرج تحت مظلة الدراسات الوصفية وبالتالي ارتأينا الاعتماد على المنهج المسحي الوصفي كأنسب منهج لهذا النوع من الدراسات .

2) المفهوم اللغوي والاصطلاحي للحجاج :

2-1 : المفهوم اللغوي:

الحجاج مأخوذ من كلمة "حجة" وتعني البرهان، وقيل الحجة ما دفع به الخصم تقول حجة (ابن منظور ، 1993، ص 52) ، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة (الزمخشري ، 1984،ص 113) وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون فيه الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج، أي جدل، والتحاج التخاصم، وجمع الحجة، حجج، وحاجة محاجة، وحجاجا، نازعه الحجة... وفي الحديث "فحج آدم موسى" أي غلبه بالحجة (ابن منظور ، 1993، ص 51) قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج تقصد لأن القصد لها وإليها وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك وفي حديث الدجال "... أن يخرج فيكم وأنا فيكم فأنا حجيجه" أي مغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة: الدليل والبرهان (ابن منظور ، 1993، ص51).

في المعجم الفلسفي نجد أن الحجة argument تعني: ما يراد به إثبات أمر أو نقضه ومنها جاءت كلمة محاجة Argumentation ويراد طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها.(جميل صليبا ، 1982،ص 445)

- كما أن كلمة الحجة لها معاني أخرى في علوم أخرى:

- ففي المنطق تعني القضية أو النسق من القضايا التي تقدم لتأكيد صحة قضية أخرى (أو نسق من القضايا)، أي مقدمة البرهان التي تعرف أيضا بأساس البرهان وأحيانا يطلق على البرهان نفسه اسم الحجة.

- أما في الرياضيات والمنطق الرياضي، الحجة هي المتغير المستقبل الذي تتوقف على قيمته دالة أو محمول (فؤاد كامل وآخرون ، بدون تاريخ ، ص64).

نلاحظ من خلال هذه التحديدات القاموسية أن لفظ الحجاج يحمل في مضمونه دلالة ومعنى مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي ، والمتمثل في " التخاصم " و" التنازع " و" الجدل" " والغلبة" كعمليات مأخوذة هنا بمعانيها الفكرية والتواصلية (حبيب أعراب ، 2001 ، ص99).

وفي اللغة الفرنسية – على سبيل المقارنة – نجد لفظة argumentation تشير إلى عدة معاني متقاربة، أبرزها على الخصوص – حسب قاموس " روبير Robert " مايلي:

- القيام باستعمال الحجج .
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة .
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة.

وفي القاموس ذاته نجد "argumenter " تشير إلى الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج ، أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج (Le Grand Robert,1989, p535)

ولاشك أن المعنى اللغوي للحجاج في الفرنسية لا يختلف في الجوهر عن معناه في العربية ، على الأقل في وظيفته التسويغية والجدالية.

2-2 المفهوم الاصطلاحي:

الحجاج هو الاستدلال في الكلام أو التعبير أو النقاش، بحجة أو مجموعة حجج، تساهم في إحداث الإقناع لدى الطرف الآخر بصحة أو أهمية ما ندعيه.

والحجاج هو – أيضا – تبادل محادثاتي حول آراء مختلفة أو متناقضة ، ومنطقها يتأسس على استراتيجيات محادثاتية مبنية عن طريق موضوع ما (Georges. Vignaux, 1976, p3)

إن اختيار دراسة الحجاج ليس بالأمر السهل ولا بدون مخاطر، لكونه يعتبر من المفاهيم المثيرة للالتباس بالنسبة للباحث عن ضبطه وتدقيقيه . ويعود ذلك إلى عدة عوامل أهمها:

- تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها(الحجاج الصريح ، الحجاج الضمني... الخ).
- تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها: الخطابة ، الخطاب ، القضاء ، الفلسفة، المنطق ، التعليم ... الخ (حبيب أعراب ، مرجع سابق ، ص97.)

كما أن الخطر يتمثل – في الواقع و حسب بعض الباحثين – في عدم تمييز الأهمية الخاصة بالمنطق ، وعلم النفس ، واللسانيات ،ومن جراء ذلك عدم معرفة كيفية إيجاد (تأسيس) خاصية (spécificité générique) لهذه الظاهرة المشتركة في جميع خطاباتنا .(Georges. Vignaux, 1997, p5)

على المستوى الإجرائي ، نجد كل حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية . ولا غرابة، والحالة هذه أن هناك حجاجا خطابيا (لسانيا) وحجاجا خطابيا (بلاغيا) وآخر قضائيا أو سياسيا أو فلسفيا ، الخ.

فمثلا نجد في منظور بعض هذه الكتابات أن الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا، مهما كان متلقي هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة فيه ذلك. وهذا المعنى هو الذي يأخذ به أبرز منظري "نظرية الحجاج" المعاصرة **كشايم بيرلمان** Ch.Perelman **وميشال ماييرM.Meyer** ، حيث يقول هذا الأخير: يعرف الحجاج عادة بكونه " جهدا اقناعيا (افحاميا) . ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه" (Michel, Meyer 1982,p136) فالحجاج ملازما للخطاب.

وفي نفس الاتجاه يعرف **انفت ورانسر**Infant et Rancer الحجاج بأنه " العملية التي يقوم الفرد من خلالها بالدفاع عن المواقف والآراء التي يتبناها حول قضايا معينة ، فضلا على هجومه على ، وانتقاده لآراء الآخرين المخالفة حولها " (طريف شوقي ، 2003، ص 351)

إن الخروج من الدلالة القاموسية للحجاج إلى دلالته النظرية والاستعمالية الواسعة والمتنوعة، أي إلى فضاءاته المتشعبة، سيضطرنا إلى الاعتراف بوجود أكثر من سياق لهذا المفهوم، وأكثر من حقل وظيفي له. فهناك – على سبيل المثال – حجاج خطابي (بلاغي) وحجاج قضائي (قانوني) وحجاج فلسفي أو رياضي ، الخ. ومن ثم ، كان من البديهي ، أيضا أن يكون للحجاج كخطاب وكعمليات استدلالية اقناعية علاقات معقدة ومتجددة سواء مع البلاغة الكلاسيكية والحديثة أو مع المنطق والبرهان ، أو مع اللسانيات والتداوليات.

يعد الحجاج فعلا طبيعيا من الأفعال اللغوية، وكان محل اهتمام منذ القدم وخصصت له عدة مجالات: سياسية وقانونية وفنية ، وأدرج ضمن البلاغة باسم فن الجدل. لكن انطلاقا من أعمال **ديكرو** و **أسكومبر** اعتلج هذا الفن بالأدوات الحديثة ، وراح يتأسس على مقولات الدرس اللساني (وحيد بن بوعزيز، العدد 17، ص226).

جوتييه Gauthier من جهته يرى أن الحجة تشكل علاقة مفصلية بين أطروحة ومبرراتها أو بين حكم وقاعدته (Gauthier , 2002,p3)

ما يمكن ملاحظته ، أن كل جنس من الأجناس المعرفية السالفة يسعى – بأبحاثه – نحو ضم الحجاج إلى حضيرته الخاصة ، ومقاربته من زاويته المحددة. ونتيجة لذلك ، اغتنى مفهوم الحجاج ، وطعم بمفاهيم ووظائف وتنظيرات مختلفة ما زالت في تجدد مستمر.

وإذا أردنا الحديث عن نظرة كل مرجعية لمفهوم الحجاج فنجد مثلا في علم اللغة النصي أن الحجاج عرف من زوايا شتى : السمات الموضوعية العامة ، أو البنى اللغوية المميزة ، أو الغرض البلاغي والوظيفة الاتصالية ، أو التقاط سمة أولية مائزة ، ...الخ... (العبد ، 2005، ص 187)

حيث في كتابه الأخير الذي يتناول الاستعارة ، بول ريكور P.Ricoeur أعاد ذكر التحليل الذي تقدم به Genette قائلا " أن بلاغة أرسطو تغطي 3 حقول : *- هي نظرية الحجاج التي تشكل المحور الأساسي،(...) وهذه النظرية تغطي لوحدها ثلثي كتاب (مبحث أو مقال في الحجاج لبيرلمان)*- هي نظرية البيان *- ونظرية تشكيل الخطاب." (Perelman ,tytéca,1997,p12)

كما أن البلغاء يتفقون على أهميتها كتقنية تأثير على الناس عن طريق الكلام ، وهي ضرورية في الحياة النشطة وبخاصة في السياسة، وهذا رغم أن مصطلح " بلاغة" غائب في القاموس الفلسفي ل **لالاند** ، مما يوجهنا بوضوح إلى وجهة نظره ، على أنه لا يمثل أية فائدة بالنسبة للفيلسوف.

من هذه الزاوية يمكن القول أن نظرية الحجاج تمثل بلاغة جديدة (أو جدل جديد) تغطي كل حقل الخطاب هدفها إحداث الإقناع في الغير مهما كان المخاطب المستهدف ومهما كانت المادة التي تستخدمها.

ويذهب أموسي **Ruth Amossy** الى أن التأكيد على أن البلاغة الأرسطية " تحلل الروابط أو الرابط بين الوسائل والغايات عن طريق الخطاب. وعندما في نهاية سنوات 1950، دراسات وأعمال **Perelman** حول الحجاج أعادت الاعتبار للبلاغة الأرسطية ، مضت –تقريبا- كلية إلى علوم اللغة (الكلام).

وحسبه دائما البلاغة تعرف أيضا :

*- خطاب لا يوجد خارج عملية الاتصال.

*- خطاب يؤثر على العقول.

*- هي نشاط شفوي يحتمي بالعقل (**Amossy, 2000,p2**)

لذلك فإن تحليل الحجاج في الخطاب تقتضي دراسة فعالية الكلام في أبعاده المؤسساتية ، الاجتماعية ، والثقافية.

ومن زاوية أخرى يمثل الحجاج عند أندرسين **Andersen** ودوفر **Dovre** طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوى المنطقية ، وغرضها حل المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة والتأثير في وجهات النظر والسلوك (العبد ، 2005، ص 187)

كون الحجاج طريقة من التحليل والتعليل يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين .

والحجاج عند كل من هاينمان وفيفيجر عملية اتصالية .هي كل ضرب من ضروب عرض البرهان الذي يعلل الفرضيات والدوافع والاهتمامات .

أما عند الحجاج عند بيريلمان **Perelman** وتيتيكا **Tyteca** طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد الى استمالة المتلقين الى القضايا التي تعرض عليهم أو الى زيادة درجات تلك الاستمالة (**perelman , Tyteca , 1981, p92**)

وربما هو نفس موقف **شيفرين** الذي يرى أن الحجاج جنس من الخطاب ، تبنى فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة ، في الوقت نفسه الذي ينقضون فيه دعامة موقف خصومهم (**Deborah, 1989, pp35-46**)

إلى جانب تعريفات تندرج في نفس الخانة أي كون الحجاج فعلا لغويا أو عملية اتصالية أو جنسا من خطاب تفاعلي مع إبراز أهم مكوناته ، على نحو ما نجد في تعريف أوتس ماس **Utz maas** ، وديبورا شيفرين **Deborah Schifrin** ، وكل من هاينمان **Heinemann** وفيفيجر **Viehweger**

والاستمالة أو الموالاة **Adherence** هي العنصر الأهم الذي بنيت عليه تعريفات أخرى ، من اهمها تعريف ريك **Rieke** وسيلارز **Sillars** . يعرف هذان الباحثان الحجاج بانه عملية عرض دعاوي تتضارب فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموالاة لاحدى تلك الدعاوي (العبد ، 2005 ، ص188)

من جهتهما – Anscombre و Ducrot – ومن مقاربة تداولية – يريان أن مبادئ التحليل الحجاجي تتمثل في أنه:

مقاربة لغوية ، مقاربة اتصالية ، مقاربة حوارية تفاعلية ، مقاربة أسلوبية ، ومقاربة نصية.

وتبعا لذلك يصبح الحجاج– عمليا – بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللغة المكتوبة والمنطوقة .

وإذا أردنا الحديث عن جدلية المخاطب (بكسر الطاء) والمخاطب(بفتح الطاء) في الاستراتيجية الحجاجية نجد أن المخاطبون يمثلون قطعة جوهرية من الحجاج، وبخاصة إذا كان كل خطاب ذو بعد اقناعي يبنى بالاعتماد على صورة الخطيب في ذهن جمهوره. حتى وان لم يشار إليه في الخطاب ، الخطيب دائما حاضرا .انه جزء مضمن في تراتبية الملفوظة.(**Amossy, 2000 , pp17- 56**)

المخاطب هو من تكوين الخطيب، والخطيب يجب عليه أن يتكيف مع المخاطب.

المخاطب بالنسبة ل **بريلمان** يراه من زاوية واسعة " هم مجموع من خلالهم الخطيب يحاول التأثير عليهم بواسطة حجاجه"

المخاطب يشكل متغير أساسي يحدده المرسل عندما يضعه كدريئة لعمليته الاقناعية، شخص أشخاص أو جمهور واسع.

من خلال ذلك كله يمكن القول بأنه لكي نحاجج يجب معرفة الآخر واستباق إجابته.أن نتصل بشكل جيد هو في الحقيقة، ليس فقط مجموع القواعد اللسانية التي تسمح بإنتاج رسالة مقبولة من طرف المخاطبين للغة معطاة ولكن أيضا معرفة القواعد الاجتماعية والثقافية التي تقود إلى إنتاج رسالة مناسبة في وضعية معطاة. (**golder, 1996,p139**)

وإذا عدنا إلى إعطاء تعريفات شاملة للحجاج نجد مثلا **Vignaux** يرى أن الحجاج معناه " ... الدفاع عن وجهة نظر وفي نفس الوقت محاولة إشراك الآخرين فيها، بمعنى آخر اختيار كلماته وتنظيمها في شكل خطاب من أجل (أو بنية) دفع الآخرين إلى تبني أفكار وقناعات(...) الحجج – بالنسبة لنا – تشكل براهين، مدلولات، والتي تأخذ تظهر شكلها – من جانب آخر – من هذا التجميع للكلمات المنتظمة في شكل جمل مرتبة، والتي نسميها " خطاب " (**Vignaux , 1976 , pp 5-21**) ، لا يمكننا – إذن – تصور حجاج بدون خطاب.

يرى **بروتون** Breton أن "الحجاج هو وسيلة لتقاسم رأي ما مع الغير وهي بعيدة عن ممارسات العنف الإقناعي مثلما تبتعد عن أساليب التضليل وحتى البرهان العملي، إنها تمثل نوعا خاصا، يدخل في إطار عائلة الأفعال الإنسانية التي هدفها الإقناع اليقيني" (Breton, 1998,P6) وهي كذلك مسعى من خلاله يباشر شخص أو جماعة في جلب الملتقى إلى التكيف مع وضعية عن طريق الرجوع إلى مقدمات أو استخدام حجج تستهدف إظهار الصدق. (Oléron, 1983,p4)

يعني هذا أن الحجاج هو عملية كسب تأييد فرد أو مجموعة أفراد لفكرة ما أو رأي معين وهذا بالاستعانة بأساليب تمثل في غايتها حجج تدعيمية (تعزيزية)

لذلك فالحجاج ليس ببساطة أن ننقل فكرة ما أو رأي، إنما هو أكثر من ذلك، أن نعلل وأن نبرهن على ما نؤكده.

بمعنى عدم الاكتفاء باشتراك في رأي أو فكرة إنما يستهدف من وراء ذلك القصد إلى الإقناع عن طريق حجج واضحة ومسار أوضح لفن الحجاج الذي لا يفترض فقط استدلالات ووقائع وأمثلة ملفوظة من خلال نص معين من أجل البرهنة على رسالته كما يرى **جودبوت** Goudbout (Goudbout, 1989,p66)

بل أكثر من ذلك فإنه يتطلب اتفاق من نتوجه إليهم على مجموعة من المعطيات هذا الاتفاق يمكنه أن يخدم كنقطة بداية اتفاقات لاحقة (perelman,tytéca, 1952,p50) يعني أن الحجاج لا ينطلق من فراغ إنما يستند ويتوقف على توفر حيثيات معينة مثلا استلزام وجود حد أدنى من الاشتراك على بعض المعطيات بين الملقي للرسالة وبين المتلقي لها.

على هذا يمكن القول –بالنظر إلى المفاهيم السابقة– أن أفعالنا ليست كلها محاججات بل ما هو حجاجي منها يقتصر فقط على تلك التي تسعى بكل الأساليب وعن نية الفعل إلى الوصول إلى هدفها المنشود.

وليس كل حجاج فعالا إنما تلك التي "تنجح في إنماء قوة الانضمام بطريقة تحريك المستمعين للفعل المرتقب (فعل إيجابي أو إحجام) أو على الأقل خلق في أنفسهم ميل إلى الفعل الذي سيفصح عنه في وقت مناسب"

3) خصائص الحجاج ومجالاته:

هناك فكرة أساسية هي أن الحجاج يتموقع بين قطبين آخرين وهما ، القطب الخاص بالبرهان ، والقطب الثاني المتعلق بالإقناع ،يمكن أن نميز الحجاج كاستدلال غير صوري وغير إكراهي بالمقارنة مع الاستدلال المنطقي الصارم .

وإذا نظرنا إلى خصائص المحاجة نجد أنها تستقل ببعض المميزات حتى وإن كان بينها وبين البرهنة Demonstration مثلا نقطة تقاطع تتمثل في التوجه إلى العقل "كون المحاجة تمثل مجموع الإجراءات الاستدلالية سواء كانت استنتاجات أو استنباطات..." لكن

الفارق بينهما هو أن البرهنة تدخل في إطار علمي بحت ونتائجها يقينية صادقة في أغلبها، فالبرهان كما ورد في المعجم الإعلامي (منير حجاب ، 2004، ص 106) " لفظ فارسي معرب وأصله بران ، أي اقطع ذاك ويقصد به قطع حجة الخصم . ويطلق على الحجة البينة الفاصلة وهي التي يلزم التصديق بها التصديق بشيء. وأهل الميزان يخصونه بحجة ان مقدماته يقينية . ولهذا يسمى " العمدة" أي ما يعتمد عليه من أنواع القياسات لتركيبه من المقدمات اليقينية ، ولكونه كافيا في اكتساب العلوم التصديقية."بيد أن مجال المحاجة هو "الشيء القريب من المعقول vraisemblable والمقبول plausible والمرجّح أو المحتمل probable، حدود أن هذا الأخير يبتعد عن يقينيات الحساب" كما أن الحجة تكون دائما مجهزة لشخص ما (يعني محدد) عكس ذلك بالنسبة للبرهان الذي يوجه لأي كان، يتعلق الأمر إذن بتصور مسار حواري.(Blaisse grise , 1990, p16)

فالخطاب الحجاجي – حسب موشلر Moeschler – ليس خطابا مرماه التطرق للكلام عن الأدلة ، وليس خطابا يهتم بالمبادئ المنطقية كعملية الاستنتاج.

أي بتعبير آخر ، أن أحاج لا يعني أن أبرهن Demontrer على إثبات ما ، ولا أن أبين الطابع المنطقي الحصيف لعملية النظر ...أن أحاجج يعني أن أعطي الأسباب والحقائق لهذا النتيجة أو تلك. فيقتضي إذن أن الحجاج علاقة بين حجج ونتائج، وعدد الحجج ليس محصورا بالضرورة في حجة واحدة فقط. (Moeschler et Reboul, 1994,p46)

يمكن أن نفهم من هذا الحصر الذي حاول موشلر القيام به شيئا مهما جدا ، وهو أن الحجاج بارتكازه على مجموعات من الحجج لا يعتبر إطلاقا من طبيعة برهانية ، أي لا علاقة له بالمنطق الصوري الأرسطوطاليسي الذي ينبني على مقدمتين (صغرى وكبرى) تفضيان حتميا إلى نتيجة وفق مبدأ السببية

وهذا معناه أنه لكي نحاجج ليس بالضرورة أن نثبت شيئا ما لمتطلبات البرهان العلمي ولا تستدعي هذه العملية –في هذا الإطار– دليلا يتموقع في مجال الحق بل نستعمل أدلة محتملة أو قريبة من المعقول وقابلة للتصديق، فالحجاج –إذن– هي أن نعلّل آخذين هذا المفهوم في معنيين:

* تقديم أسباب ودوافع (مبررات).

* إقناع الأشخاص.

وهناك جوانب أخرى تأخذ بعين الاعتبار عند تمييز مجال المحاجة منها أن طبيعة التشاور (المداولة) والمحاجة تتعارضان مع الضرورة والبداهة حيث أنه "لا يمكننا أن نتشاور عندما يكون الحل ضروريا ولازما، ولا يمكننا أيضا أن نحاجج ضد البداهة" (Perelman, 1981, P 1.) كما أن المحاجة –كذلك– لا تعنى فقط بالبحث عن الإقناع بل أيضا ببناء طريقة عرض تستهدف التصرف بها على المستمعين' لذلك فطابعي العشوائية واللاقصد ليسا من مميزات المحاجة وصفاتها، ذلك أن هذه الأخيرة عملية إرادية مهيكلة الوسائل ومخططة الأهداف، والقائم بها يدرك بوضوح الأغراض التي يتوخاها من فعل الإقناع المرتكز على أساليب استدلالية، ولهذا توصف المحاجة بأنها "إتمام لفعلين:– * التلفظ بالحجة من جهة * وفعل استنباط عملي عندما نعبر عنها ونحن ننتظر النتيجة أو الخاتمة من جهة أخرى ".

4) مقاربات الحجاج.

لقي مصطلح الحجاج منذ عصور زمنية خلت إلى يومنا هذا اهتماما بالغا، حيث انتقلت الأبحاث من المفهوم الأرسطي للحجاج إلى مفاهيم أخرى ومقاربات عديدة نابعة من تنوع الإطار المرجعي أو مجال الاهتمام لكل باحث، فتنوعت من بلاغية، لسانية، منطقية...لا يتسع المقام لذكرها مفصلة لذلك اقتصر الباحث على تلخيص أهم هذه المقاربات.

4-1 المقاربات البلاغية:

يحاول الباحث التركيز في هذا العنصر على المفهوم الأرسطي للحجاج من خلال الحديث إسهاماته فيما سمي بالبلاغة التقليدية ، ثم نتحدث عن المنظور الجديد للبلاغة وما أطلق عليه بيرلمان وزميله بالبلاغة الجديدة LA NOUVELLE RHETORIQUE

4-1-1 تصور أرسطو :

يتناول ارسطو في كتابه الخطابة، الحجج من زاوية بلاغية متعلقة بالاقناع ، وهذا ما تضمنه تعريف فن الخطابة على أنها " قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة". (أرسطو، 1979، ص 9)

كما حاول تقسيم الخطاب الى ثلاثة أنواع* النوع الاستشاري، النوع القضائي، النوع القيمي.

ولما كانت الاختلافات الزمنية والمقامية والمقصدية والقيمية، بين هذه الأشكال الثلاثة للخطاب، ترتكز بالأساس على الاختلاف بين أنواع الحضور، فيماثل كل نوع خطابي نوعا خاصا من المستمعين، فان هذا يحتم على الخطيب أن ينوع تقنياته الحجاجية والخطابية حسب كل نوع. (طروس ، 2005، ص 16)

وعن بنية الخطاب، تحدث أرسطو عن ركائز أساسية في الخطاب، تبدأ من مرحلة الإعداد والذي يمثل المرحلة الأولى ، والأكثر تعقيدا في إعداد الخطاب ، وهي مرحلة البحث عن الأفكار والحجج . وعن نوع الحجج ميز أرسطو بين ثلاثة أنواع منها: (الإيثوس، الباتوس، اللوغوس) ، في علاقتها بالأبعاد الثلاثة للفعل الخطابي (الخطيب ، المستمع، الخطاب).

كما تحدث عن نوعين من الادلة والتي يسميها بالتصديقات ومنها

*- التصديقات الجاهزة: مثل: الاعترافات تحت التعذيب، الشهود والقوانين، كما يمكن أن يضاف إليها –حسب "العمري"- أقوال الحكماء والصالحين، كذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر والأمثال والتي تعتبر من سمات الخطابة العربية، ويطلق – كذلك- على هذا النوع من الأدلة اسم المواضع العرضية، يعني مصادر الأدلة الخارجة عن ذات الموضوع، وذلك أن المخاطب أحيانا لا يدرك ما في ذات الموضوع من خصائص ومزايا وثمرات فيصعب عليه أن يقتنع بأدلة تستمد قوتها من تلك الخصائص فيستعان على إقناعه بأمور خارجية.

*- التصديقات المصطنعة: ويقصد بالتصديقات المصطنعة (يعني المستكشفة)، تلك التي يحتال الخطيب لها بالكلام من ذات الموضوع أي يستخرجها بأسلوبه الخاص من صلب ما يتحدث عنه، وهي قسمان: -منطقية موضوعية مثل (القياس الخطابي، المثل، الاستقراء، التي تدخل في إطار الاستدلال) وخلقية ذاتية وتعني صفات شخصية الخطيب وعلاقته بالسامعين.

كما تحدث عن ما أسماه ترتيب أجزء القول: ويقصد بها: الاستهلال – السرد – الإثبات – الخاتمة

اهتم البلاغيون بعلاقة الحجاج بالتفكير المنطقي، وبالطرق الحجاجية في الاستنتاج وبناء الأحكام وإثباتها، ولاحظوا أن الاستنتاجات الحجاجية لا تنبثق بالضرورة من التفكير المنطقي، بل قد تكون تجربتنا البسيطة مصدر استنتاجاتنا في الغالب ...حيث وقف البلاغيون أمام هذا التنوع في العمليات الإستنتاجية، واختزلوه في نوعين رئيسيين: الاستنباط والاستقراء.

في دراسة أرسطو للقياس اهتم كثيرا بالاستنباط كمبدأ في الاستدلال ينطلق من العام إلى الخاص، وحدد الشروط الأساسية لشرعيته الصورية، بدءا بصورته القاعدية:

* كل إنسان فان (قضية كبرى)

* سقراط إنسان (قضية صغرى)

* إذن سقراط فان(نتيجة)

وقد تنبه أرسطو في هذا الإطار إلى أن هناك ضرورة منطقية تربط المبادئ (أو المقدمات) بالنتائج ، فترغم السامع إذا ما اعترف بمقدمات معينة على قبول النتيجة، إلى درجة لا يكون في حاجة الى طلبهم ، كما سجل في سياق البرهان الجدلي أن مقدماته غير يقينية ولا تتقيد بالشروط التي يتقيد بها القياس البرهاني (عشير ، 2006، ص 90) ، مما مهد لظهور القياس الإضماري، وهو القياس الذي عرف بأنه قياس مؤسس على مقدمات ظنية ، تعرض غالبا للحذف ، إما لجلائها ووضوحها أو تحاشيا لذكرها لاعتبارات مقامية.

غير أن أرسطو خرج في كتابه الخطابة ، من البحث المنطقي المحض أو بالأحرى من القياس الصوري، إلى البحث في علاقة القول بالأخلاق والسياسة والجدل والقياس الإضماري الذي يحكم الخطاب الطبيعي ، وهو ما يخالف المبدأ القائم على الضرورة القياسية، والاضطرار في النتيجة، ذلك لأن المساءل الجدلية لدى أرسطو هي مسألة يكون منتهاها هو اختيار سلوك أو الانصراف عنه أو اكتساب حقيقة أو معرفة.

إن الوعي بضرورة البلاغة هو الذي قاد أرسطو إلى وضع نظرية في الحجاج بعد أن وضع نظرية المنطق الصوري. لقد أدرك أن هناك منطقا ما خفيا مختلفا عن المنطق المتعارف علية عند العلماء. لقد ميز في سبيل ذلك الرأي من الحقيقة الأول هو أساس البلاغة أي الحجاج والثانية هي أساس العلم.

البلاغة تظل مجال الاحتمالية لا الحسم. إن التأليف بين الآراء ينتج عنه الاستدلال الجدلي في حين أن التأليف بين الحقائق ينتج عنه الاستدلال التحليلي. (الولي ، 2006، ص 7.)

من كل ما تقدم يبدو أن النموذج الحجاجي البلاغي التقليدي، نموذج مثالي معياري، يسعى بالأساس إلى محاربة الألاعيب الخطابية، ودحض المغالطات السفسطائية. من هنا انحصر هم البلاغة التقليدية في وضع معايير للخطابات ومقاماتها وطرقها الاستدلالية ، والتمييز بين المقبول بين الحجج ، وبين ما يصدر عن نوايا الاستغلال والتسخير. بمعنى أنها كانت تؤسس لشكل خطابي معياري، وترسم الخطوط الواجب على الخطيب إتباعها، بعيدا عن أي وصف أو تفسير للممارسة الخطابية الفعلية.

4-1-2 تصور بيرلمان Perelman

مرت البلاغة بعدة مراحل ما بين تطور وأفول منذ القرن الخامس قبل الميلاد في بلاد اليونان –موطن نشأتها- أين عرفت انطلاقتها القوية في أحضان فن الخطابة على السوفسطائيين، وطورها فيما بعد، أرسطو بعد أن وضع لها قواعد وأصولا، وهكذا الى أن بلغت ذروتها –بعد رقي مكانها طبعا في صدر الإسلام والقرون التي تلت العصر الذهبي للخطابة العربية- في عصر النهضة الذي وصفه **مارك فوماورلي** بعصر البلاغة، ثم أخذت بعد ذلك في الأفول إلى أن عادت من جديد في النصف الثاني من القرن العشرين، واستعادت بذلك لمكانتها، وبخاصة بعد النقلة النوعية لها على يد بيرلمان CH. Perelman وتيتيكا O.Tytéca.

حيث تكاد البلاغة تكون مدينة لأعمال بيرلمان في إحيائها وتحديثها وبعثها من جديد، وإخراجها من متاهات التصنيف والتبسيط، إذ ارتبطت جل أعماله بالبلاغة، شرحا وتطبيقا، أو تحيينا ومراجعة وتوسيعا، وحاول أن يجعل من النظرية البلاغية أداة لتفسير وتحليل غيرها من الظواهر الفكرية، الفلسفية والقانونية بالخصوص. من هنا تولدت حاجته إلى بناء تصور نظري للحجاج، والدفاع عن أهميته وجدواه على ضوء المفاهيم البلاغية والفلسفية والقانونية.

وهذا ما أدى الى ولادة مصطلح البلاغة الجديدة ذاته عام 1958 في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولوني المولد البلجيكي المقام " **بريلمان** Perelman.Ch" تحت اسم " مقال في البرهان: البلاغة الجديدة «. ويعتمد هذا الكتاب على محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع، كتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد، وامتداداته الى بقية مجالات الخطاب المعاصر (صلاح فضل، 1992، ص 73)

يفتح بيرلمان ، من هذا المنظور ، أمام الحجاج آفاقا جديدة ويحاول أن يخرجه من الدائرة الضيقة التي حصرته فيها الدراسات التقليدية ، كأداة تقنية صرفة، توظف في المجالات العقلية أو التجريبية الصرفة، إلى عالم الاحتمالات ، عالم الآراء والقيم والتفاعلات بين الأفراد والجماعات ، بين الأفكار والأطروحات.

يرى " **بريلمان** " أن نظرية المحاجة لا يمكن أن تنمو اذا تصورنا أن الدليل البرهاني إنما هو مجرد صيغة مبسطة بديهية . ولذلك فان هدف نظرية " البرهان " لديه هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم،أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته. (صلاح فضل ، 1992، ص 74)

يرى **بيرلمان** أن مماثلة العقلاني بالبديهي والصادق، تفصل العقل عن الملكات الإنسانية الأخرى كالخيال والإرادة، باعتبارهما سبا للأخطاء والأحكام المسبقة،وأن في التعميم الديكارتي المقترح لحل كل المشاكل البشرية بفضل منهجية مستقاة من الرياضيات،كثيرا من المغالاة ، لأننا لا نملك فكرا متحررا من كل تكوين وكل تربية.

ويمكن إعادة صياغة تصور **بيرلمان** للحجاج في النقاط الآتية:

* الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية، وتفحص شروطها وآثارها

* العملية الحجاجية عملية جدلية، تنطلق مع أطروحة أو ضدها، وتتجه للإفحام أو الإقناع، لتقوية الانخراط أو تقليصه. ويتحرك الحجاج داخل بنية حوارية، يتعدد فيها المخاطب كميا، ويتنوع كيفيا.

*يكتسب الحجاج فعاليته من السياق الاجتماعي، ويستقي شرعيته من مالكي السلطة داخل المجتمع.

* تحتم الضرورة المعرفية والمنهجية تبني النظرية الحجاجية لتطوير معرفتنا بالمجالات التي لا تسعفنا المناهج العلمية الصارمة في الإحاطة بها.

4-2 المقاربات المنطقية:

هناك ثلاث إسهامات لباحثين حاولوا مقاربة الحجاج من زاوية منطقية وهم على التوالي : تولمين – كريز – وفينو.

4-2-1 نموذج تولمين Stephen TOULIMIN:

يتجه نحو التقويم العملي للحجاج، فيثير قضايا عامة أغفلها المنطق، الذي ظل عبر تاريخيه، يميل إلى التطور بعيدا عن المشاكل والقضايا العملية ليتجه نحو حالة من الاستقلال التام، يصير فيها موضوعا للدراسة النظرية، ويتحرر من كل الالتزامات العملية المباشرة

ومن أهم النتائج التي توصل إليها تولمين: المنطق نظام استعدادي، يهتم بالحجج التي تضفي الشرعية على النتائج وتبرر مقبوليتها ، ويتسم بكونه سلوكا عمليا مماثلا لنظرية القانون، هذا التماثل يركز على الوظيفة النقدية للعقل، ويتخذ من التعليل الوظيفة الأساسية للحجاج، ومن مفاهيمه الأساسية حقل الحجاج الذي يتجاوز التنوع بين الحجج ويصنفها في حقول تتسم بنفس الخصائص. (طروس ، مرجع سابق ، ص 68)

يقدم إلينا تولمين نموذجا حجاجيا، يجعل من التعليل الوظيفة الأساسية للحجج، ويقوم على كفايتها اعتمادا على المنطق الجيهي.

4-2-2 نموذج كريز Jean – Blaise GRIZE

يحاول كريز في كتابه (من المنطق إلى الحجاج :1982) تحديد مفهوم الحجاج، انطلاقا مما اسماه ظاهرة انكماش تحاليل السوفسطائيين والبلاغيين واتجاه المنطق في كليته إلى البرهنة. ويرجع السبب في منظوره إلى أفلاطون، وإلى كل اللذين رأوا في الحقيقة القيمة المطلقة، واتهموا السوفسطائيين والبلاغيين بكونهم أساتذة للوهم ، يلبسون الحقيقة بالتخيلات والشبيهات والأوثان.

الحجاج فعل خطابي:

لكي يكون الحجاج فعلا خطابيا يجب حسب كريز أن نتخلى ، في معالجته ، عن المنطق الرياضي ، ونتبنى منطقا يسلم بحضور ذوات نشيطة وفعالة في إنتاج الخطاب، ويستند تصوره هذا على المعطيات التالية: (كريز، 1982، ص 28)

* كل ذات تتموقع داخل وضعية خاصة، وفي ثقافة محددة، يتداخل فيها الصريح بالضمني.

* لا يقدم الخطيب لسامعيه إلا سلسلة من التمثيلات التي يمكن أن تكون ذات أهمية بالغة، كتلك التمثيلات المخطئة التي يقدمها المعلم أحيانا إلى تلاميذه.

* إن كون الخطيب مستمر الحضور في بنائه، يعطي لهذا البناء سمة الانفتاح، التي تناقض بالضرورة سمة انغلاق النماذج.

المنطق والحجاج:

بعد تتبع الأبعاد البلاغية للحجاج ، كمنطق طبيعي، يعود كريز الى تناول الحجاج من هم صوري، من زاوية نظر منطقية، فيحاول تقليص المسافة بينه وبين البرهنة. إذ يرى أنه بالرغم من أن المنهجين مختلفان، فيحيل الأول إلى الرأي، ويحيل الثاني إلى مجال

الضرورة ، فإن هذا لا يمنعها من أن يتقدما تحت مظهر متشابه إلى حد بعيد ، إلى درجة اختزالهما معا في متواليات من القضايا. (كريز 1982 ،ص ص 184- 185)

4-2-3 نموذج ج.فينو George VIGNAUX

يحاول ج، فينو في كتابه (الحجاج، محاولة في منطق الخطاب 1967) إقامة تصور للخطاب الحجاجي، وبناء استراتيجية منهجية، منطلقا من نقده لتصور « بيرلمان» وأسسه البلاغية والمنطقية التقليدية، ومتبنيا أهم المفاهيم التي تعرفنا عليها في نموذج كريز.

يقترح فينو منهجا يهتم باللغة كأسلوب للتواصل، وبالذات القائلة، وبالمتلقين، فكل خطاب موجه للآخر، ولآخر محدد. وهذا يفترض فيه أن يحمل علامات لبعض صور الخطاب، وصدى الخطابات السابقة التي يحيل عليها، والخطابات التي ستتلوه، لأن الخلاف يسجل داخل فضاء حجاجي. وإذا كانت خاصية الخطاب أنه يهدف إلى التأثير في حكم، جماعيا كان أو فرديا، فعليه بالضرورة، أن يبني وضعا ويهدم آخر، ويمنح لوقائع وعناصر المعرفة ليؤثر على قيم مقبولة بصفتها مقدمات.

الخطاب الحجاجي:

ينتهي فينو إلى أن الخطاب الحجاجي خطاب غائي، وينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة، لأن هنالك خطابات ذات غاية شخصية خاصة، لا تهدف إلى إقناع الآخر، فالخطاب الشعري، وبعض أنواع السير الذاتية والمذكرات، والخطابات الحميمية ، أمثلة لخطابات غائية ليست حجاجية. (طروس ، 2005 ، ص90)

* نستنتج من النماذج الثلاثة المقدمة أن المقاربة المنطقية قد حاولت أن تعيد الاعتبار للحجاج في مقابل البرهنة، وأن تبنى منطقا حجاجيا طبيعيا يختلف عن المنطق الصوري الرياضي، وعن البلاغة التقليدية، غير أنها انشغلت ببناء هذا المنطق ، وبرسم حدوده، وآليات اشتغاله ، أكثر ما اهتمت بالخطاب الحجاجي ذاته، ما جعلها تفتقر نسبيا ، إلى الوظيفة الإجرائية التحليلية.

4-3 – المقاربات اللسانية:

هناك نماذج عديدة تستظل تحت هذا الجانب، ركزت بعضها على التداولية والحجاج، بينما تطرقت نماذج أخرى الى الأفعال اللغوية؛ لكن سنحاول الاقتصار على أشهر هذه النماذج.

4-3-1 نموذج ديكرو وأنسكومبر: O.DUCROT et J-C ANSCOMBRE

نظرية السلاليم الحجاجية:

يلاحظ **ديكرو** ، وهو يشرع في تحديد مفهوم السلاليم الحجاجية ،أن كثيرا من الأفعال القولية ذات وظيفة حجاجية ، فتوجه المتلقي نحو نتيجة معينة، أو تحول وجهته عنها، وأن لهذه الوظيفة علامات في بنية الجملة نفسها ذلك أن القيمة الحجاجية لمقول ، لا تنتج فقط من المعلومات التي يحملها ، وإنما يمكن للجملة أن تستخدم عبارات أو صيغا أسلوبية، لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول، أي أن المقول يحمل في ذاته تعبيرا عن السمة الحجاجية وهي سمة تتنوع حسب المتكلمين وتبعا لأوضاع الخطاب .

هكذا يتصور **ديكرو** نظاما للحجج، قائما على معيار التفاوت في درجات القوة والضعف، وعلى سلمية ممكنة بين الحجة الأكثر قوة، وبين الحجة الأكثر ضعفا

لذلك ارتبطت فكرة الحجاج لدى **ديكرو** أساسا بمفهوم السلم الحجاجي الذي تشكل الروابط المنطقية (أو العلامات اللسانية) درجاته، وهذه العلامات هي عبارة عن مداخل معجمية ، لها خصائص جوهرية في القول تربط بين سلم حجاجي موجه نحو كم معين ، وبين سلم موجه نحو أنواع النتائج المطلوبة فالسلم الأول يوافق ما هو كمي ، والثاني يوافق ما هو حجاجي.

إن السلم الحجاجي لدى ديكو هو فئة حجاجية موجهة ، فهي أولا تمثل السلم الحجاجي المحدد بنتيجة (ن) والحجج (م ك) وهي ثانيا تعمل على تناسب القوة الحجاجية للقول، انطلاقا من العلامة اللسانية (أو الرابط الحجاجي) الذي يجمع بين فعلين كلاميين (حجاجيين) (عشير ، 2006 ، ص 85)

2-3-4 نموذج جاك موشلر Jacques MOESCHLER

يحاول موشلر في كتاب (نحو تحليل تداولي للمحادثة ، 1980) بناء نظرية تداولية لوصف البنيات الحوارية وصفا حجاجيا.

الخطاب الحجاجي:

يحدد« موشلر » الخطاب الحجاجي بكونه: " الخطاب الذي يعطي ما يكفي من الحجج ، لتبرير هذه النتيجة أو تلك ، وينشئ الحجاج من العلاقات بين الحجج وبين النتيجة وهي علاقات حجاجية وليست برهانيه ، مادامت الحجج تتعدد ، وتختلف درجة قوتها، ومادامت الحجة، حين تدخل في فئة حجاجية، تصبح قابلة للدحض، ويمتنع أن تدخل في الفئة الحجاجية المقابلة " (موشلر 1980،ص 46).

وإذن فالحجة تحدد دائما فئة من الحجج المضادة، والنتيجة تحدد نتيجة معاكسة، والخطاب الحجاجي يتموضع مقابل خطاب مضاد بهذا المعنى لا ينفصل الحجاج عن الجدل، لان الدفاع عن أطروحة أو نتيجة، يقابله دفاع عن أطروحات أو نتائج أخرى، ولأن الدخول في الجدل لا يعني عدم الاتفاق فقط، وإنما يعني أيضا أن المجادل يملك حججا مضادة هذه الخاصية التي تميز الحجاج من البرهنة أو الاستنباط، اللذين يقدمان في نسق معطى بكونهما غير قابلني للدحض.

الروابط الحجاجية:

اعتبرت الروابط علامات تعطي الانطلاقة للتضمينات المتواضع عليها، وهي علامات تدخل على مستوى الوصف الدلالي للغة الطبيعية ، وهي لا تتعلق باستعمال نظام اللغة في الخطاب والتواصل فقط، ولكنها تتعلق باستعمالات أخرى ، ذلك لأن مضمون الخطاب لا يحدد باعتباره مضمونا ثابتا، ولكن باعتباره متغيرا، فهذه الروابط تفرض قيودا دلالية على التأويل التداولي ، ويعتبر قيدا ذا طبيعة استدلالية ، ومن هنا يحقق الوصف اللساني بينة دلالية عامة، في حين يقترح الوصف التداولي تأويلات تقترن بطبيعة هذه الروابط (القيود الاستدلالية) وهذا التعريف الذي حدد به المتداوليون الروابط، يتجاوز التحديد المنطقي الذي يحصر دور الرابط في اللغة الصورية وفي تحديد قيم وشروط صدق القضية. (عشير ، 2006 ، ص ص 82-83)

وإذا نظرنا في الروابط الحجاجية، وميزنا بين محيطها المادي، وبين المتغيرات الحجاجية التي تمفصلها، سنميز بين خاصيتين: موقعية ووظيفية (موشلر 1980،ص 63).

* تميز الخاصية الموقعية بين الروابط الحجاجية للمحمولات ذات الموضعين « إذن، حينئذ، نتيجة ل، لأن ، بما أن، لأجل، وبين الروابط الحجاجية للمحمولات ذات المواضع الثلاثة» حتما، مع ذلك، لكن ، حتى، زد على، على أن...

* تمس الخاصية الثانية الوظيفة الحجاجية للعبارة التي يدخلها الرابط، فتكون الروابط مدخلا للحجج لأن، زد على ، حتى، لكن أو مدخلا للنتيجة إذن، حتما، أخيرا، مع ذلك. وقد تعطي الروابط للحجج وجهة واحدة حتما، زد على، حتى، أو وجهة متناقضة مع ذلك، لكن، أخيرا.

4-3-3 نموذج أ.بلير J.Antony Blair

يميز بلير بين الحجة وبين الحجاج. بين الأسباب الداعية لادعاء وبين عملية تبادل الحجج لصالح أو ضد وجهة نظر معينة.

يمكن اختزال تصور بلير في الخطوات التالية:

* الحجاج عملية والحجج نتيجة والحجاج فعل صراعي يوجه لحل الخلافات، حيث يرغب كل طرف في هزم خصمه، دون أن يقدم تنازلا، ونميز فيه بين حجاج جدالي ينشأ من الخلاف وحجاج ذاتي ينبثق عن نقاش داخلي.

* يوجه المتسائل حججا لوجهة النظر المطروحة وحججا مضادة لها، وللحجج السابقة، والفوارق السطحية لا تلغي التشابه بين المساءلة وبين الجدال، ولا تعوق تطبيق نظرية الأفعال اللغوية. فكل مساءلة ذاتية نشاط ثنائي، ولا فرق بين المواجهة وبين المساءلة.

* لا يؤدي الحجاج القائم على الإجراءات التعاونية إلى التوافق. إن الإجراءات غالبا ما تكون موضوعا للخلاف.

بهذا يزيل نموذج بلير الفوارق بين الحجاج الجدالي وبين الحجاج الذاتي ، ويجعل من الحجاج فعلا صراعيا ليس تعاونيا، داعيا إلى تطبيق نظرية الأفعال اللغوية وإقصاء المسلمات الحوارية. (طروس، مرجع سابق، ص 46)

4-3-4 نموذج فان دايك VAN DIJK

ينحو فان دايك منحى تحليليا ، فيفحص الاستراتيجيات والبنيات الحجاجية، في الافتتاحيات الصحفية البريطانية المحافظة، مركزا على دور الخطاب في إنتاج العنصرية ، وعلى الاستراتيجيات الصحافية في التقديم الإيجابي للنخب البيضاء، وفي التقديم السلبي للجماعات السوداء، ويسعى من وراء الفحص إلى تسلط الأضواء على اقتضاءاها الإيديولوجية وفهم دور النخبة في دعم الاعتقادات العنصرية.

لقد كانت هناك دراسة أساسية ل**فان ديك** تهتم بتسلسل (ENCHAINEMENT) الأفعال اللغوية داخل الخطاب أي الشروط التي لا تحدد فقط الملاءمة (APPROPRIE)السياقية للأفعال اللغوية ولكن أيضا الملاءمة التساوقية (COTEXTUELE)أي فعاليتها ومناسبتها (Moechler ,1982, pp 17-20)

لقد تأثرت هذه الدراسات بما كانت تعج به الساحة الثقافية على مختلف الأصعدة العلمية وبخاصة الفلسفية منها والاجتماعية ثم الأدبية. وهكذا اعتبر اللجوء إلى الاستعمال والمقام (وهي مفاهيم تداولية) كهدف يجعل العلاقات الدلالية تكشف عن نفسها في

الأقوال بدل تركها قابعة في أعماق الفرد. فما يثيره القول وما يعبر عنه المعنى هو معناه التداولي مقابل معناه التمثيلي أو الدلالي ومن الكلام انطلقت التداولية لوصف اللغة (على عكس لسانيات سوسير التي درست الجمل كما هي متماهية مع مضامينها التمثيلية

5- خاتـــــــمة:

ما يمكن قوله في نهاية هذه الدراسة بأن الحجاج جانب هام في العمليات الاتصالية التي تستهدف إقناع المتلقي فالاتصال الإقناعي يوظف آلية الحجاج لتقوية وتدعيم الأطروحة المراد إيصالها وترسيخها في ذهن المتلقي حول قضية معينة أو موضوع محدد والاتصال العادي بين الناس يختلف في مضمونه وشكل بنائه عن الاتصال الذي هدفه الإقناع فإذا كان الاتصال العادي بين الناس يتسم بالتلقائية في الحديث والعفوية في الطرح، فإن الاتصال الإقناعي يتميز بخاصية القصدية في نية الاتصال مع الناس وله أهداف مسطرة ومخطط لها من قبل، بغرض دفع المتلقي إلى تبني الفكرة المطروحة أو إتباع السلوك المقترح. وهو بذلك يملك مخطط لعملية اتصالية يختلف عن بقية نماذج الاتصال الأخرى المعروفة، فالاتصال الحجاجي - وكما حاول فيليب بروتون الاجتهاد في هذا الجانب - مبني في شكل مثلث وعناصره مرتبطة أشد الارتباط مع بعضها البعض، إذا غاب طرف لا يمكن أن يتم المسار الحجاجي بشكل صحيح وجيد وتتمثل هذه الأطراف في الرأي، الخطيب، المخاطب، الحجة، وسياق التلقي(الاستقبال) ولعل هذا الأخير هو الركيزة المحورية والأساسية، فبدون وجود اشتراك في القيم والأفكار والبيئة بين المرسل والمتلقي لا تتم العملية الحجاجية.

ولاشك بان العملية الحجاجية مرتبطة أشد الارتباط بآلياتها اللغوية والبلاغية والمنطقية واللسانية. وهي آليات تميز كل أنواع الخطاب: الأدبي والعلمي والإعلامي وبخاصة في الأنواع الصحفية التي تحاول اقناع قرائها بأطروحة جديدة، مستخدمة – بذلك - كل أساليب الاقناع وآليات الحجاج وبخاصة في الأنواع الفكرية أو التفسيرية ، ما يعرف بمقالات الرأي.

6. قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية :

المؤلفات:

- ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، (ط.2)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، 1993.)
- أرسطو طاليس، **الخطابة**، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (الكويت: وكالة المطبوعات، بيروت: دار القلم 1979.)
- حجاب، محمد منير **المعجم الإعلامي**، الجزء الأول، دار الفجر للنشر والتوزيع ،2004.
- الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة "حج"، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984.
- شوقي محمد فرج، طريف **المهارات الاجتماعية والاتصالية: دراسات وبحوث نفسية**، القاهرة: دار عريف للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
- صليبا، جميل **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1982، الجزء الأول.

- طروس، محمد **النظرية الحجاجية: من حلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية**، (ط1)، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2005.
- العبد ، محمد **النص والخطاب والاتصال**،(ط1)،القاهرة : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، 2005.
- عشير، عبد السلام **عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2006.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة **عالم المعرفة**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب م، العدد، 164، 1992، ص 73.
- كامل، فؤاد وآخرون، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، بيروت: دار القلم، بدون تاريخ.

المقالات:

- أعراب، حبيب" الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري " **عالم الفكر**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 1، المجلد 30، يوليو – سبتمبر 2001.)
- بن بوعزيز، وحيد " التداولية في الخطاب العربي المعاصر، مفهوم المناظرة، الأسس والمساءلات"، **مجلة اللغة والأدب**: جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد 17.

مواقع الانترنيت:

- الولي، محمد (2006) **بلاغة الحجاج**، موقع سعيد بن كراد،http//saidbengrad.free.fr/al/n5/8.htm ، 2006-04-28.

-Ibn Manzoor, Jamal al-Din, Arabes Tong, (vol.2), (Beirut: Dar Revival of Arab Heritage and the Arab History Foundation, 1993.)

-Aristotle Thales, rhetoric ,, the ancient Arabic translation, investigation: Abd al-Rahman Badawi, (Kuwait: Publications Agency, Beirut: Dar Al-Qalam 1979.)

-Hijab, Muhammad Mounir Al-Mu'jam Al-I'alaami, Part One, Dar Al-Fajr for Publishing and Distribution, 2004.

- Al-Zamakhshari, Basis of Rhetoric, Article on Hajj, Beirut Printing House, Beirut, 1984.

- Shawky Mohamed Farag, Tarif, Social and Communication Skills: Psychological Studies and Research, Cairo: Dar Arif for printing, publishing and distribution, 2003.

-Saliba, Jamil Philosophical Lexicon , The Lebanese Book House and School Library, Beirut, 1982, Part One.

-Tarous, Muhammad Argumentative theory, : From the Permissibility of Rhetorical, Logical and Linguistic Studies, (1 edition), Casablanca: Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, 2005.

Al-Abd, Muhammad al-Nass, discourse and communication, (1 edition), Cairo: The Modern Academy for University Books, 2005.

-Achir, Abdel Salam, when we communicate, we change, a cognitive pragmatic approach to the mechanisms of communication and pilgrims, Casablanca: East Africa, 2006

-Fadl, Salah, Rhetoric of Discourse and Science of the Text, World of Knowledge Series, Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Literature, No. 164, 1992, p. 73.

-Kamel, Fouad and others, The Concise Philosophical Encyclopedia, Beirut: Dar Al-Qalam, without date.

Articles:

Arab, Habib, "Argumentation and Argumentative Reasoning: Elements of a Theoretical Investigation," The World of Thought, (Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters, Issue 1, Volume 30, July-September 2001.)

-Ben Bouaziz, Waheed, "Deliberativeness in Contemporary Arab Discourse, the Concept of Debate, Foundations and Responsibilities," Journal of Language and Literature: University of Algeria, Institute of Arabic Language and Literature, No. 17.

Websites:

-Al-Wali, Muhammad Balagha Al-Hajjaj, Said Ben Karad website, http://saidbengrad.free.fr/al/n5/8.htm, 04-28-2006.

ثانيا : باللغة الأجنبية:

-Amossy. Ruth **L'argumentation dans la communication: discours politique , littérature d'idées** , fiction ,Paris: Nathan université , 2000.

- Blaisse grise. Jean « L'argumentation : explication ou séduction » Roger Bautier et autres, **L'argumentation**, 1990.

-Breton. Philipe, **l'argumentation dans la communication**, (2éme édi), Alger casbah Editions, 1998.

-Deborah. Schifrin, **everyday argument : the organization of diversity in talk in** : teun A.van dijk (ed): handbook of discourse analysis , vol. 3 : discourse and dialogue. . 3d .edition, London: Academic press , 1989.

-**Dictionnaire Encyclopédique de la pragmatique**,paris: ed ,puf, 1992.

-Gauthier. Gilles, « l'argumentation éditoriale : le cas des quotidiens québécois », **studies in communication sciences** , 2(2) , 2002.

- Godbout. Laurent, **s'entraîner à raisonner juste**, Paris : entreprise modernes éditions : librairies, techniques, 1989.

- Golder.caroline , **Le développement des discours argumentatifs**, paris : edi : delachau et niestlé , 1996.

- Le Grand Robert : **Dictionnaire de la langue française**. Paris 1989.

- Meyer.Michel, **Logique, langage et argumentation**. 2 ème Edition, Hachette Université.Paris , 1982.

- Moechler.J **,Argumentation et conversation: éléments pour une analyse pragmatique du discours** , paris: ed: hatier, 1982.

- Oléron. Pierre, **l'argumentation** (1er édition) collection, que sais-je ? Paris : presse universitaires de France, 1983.

- Pereleman.ch, et L.Olbrechts tybeca, **Rhétorique et philosophie : pour une théorie de l'argumentation en philosophie**, Paris : presses universitaires de France, 1952.

- perelman.ch, olbrechts. tyteca, :**La nouvelle Rhétorique: Traité de l'argumentation** , presses universitaire de Lyon , 1981.

- Perelman.Chaïm. **L'empire rhétorique – rhétorique et argumentation** (3ed) , librairie philosophique , J. vrin , sorbone , 1997.

- Vignaux**.** Georges, **Le discours acteur du monde : énonciation – argumentation** , Paris : ophry , 1997.

-Vignaux**.** Georges, **l'argumentation : essai d'une logique discursive** , Genève :librairie Droz,1976.